التغير الاجتماعي واثره على القيم في الأسرة الجزائرية

حساين دواجي وردة

طالبة دكتوراه ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم،الجزائر.

تحت إشراف: د. عبد القادر مالفي

تمهيد:

تعد الأسرة المؤسسة التربوية الأولى في المجتمع التي ترعى أبناءها، وتعمل على تنشئتهم وتطبيعهم اجتماعيا وإكسابهم القيم والمعايير الاجتماعية. فالتنشئة الأسرية وسيلة الاتصال الرئيسية بين الماضي والحاضر، والانتقال من الحاضر إلى المستقبل، فهي وظيفة أساسية من وظائف الضبط الاجتماعي.

إلا أن هناك تغيرات اجتماعية تطرأ على الأسرة أو ما يسمى "بالتغير الاجتماعي"، هو عملية اجتماعية تتحقق عن طريقها تغير في المجتمع بأكمله.

أولا: الأسرة :التعريف، الخصائص.

01. تعريف الأسرة:

يعرفها كل من برغس و لوك في كتابهم" العائلة" بأنها:

"جماعة من الأفراد تربطهم روابط نابجة من صلات الزواج، الدم والتبني، وهذه الجماعة تعيش في دار واحدة، وتربط أعضاءها الأب والأم، البنت، روابط اجتماعية متماسكة أساسها المصالح والأهداف المشتركة"[1].

في نفس الوقت الذي يشير مصطلح العائلة إلى الأسرة الممتدة، المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين، والأولاد وزوجاتهم وأبنائهم وغيرهم من الأقارب كالعم والعمة والابنة والأرملة ...الخ، وهؤلاء يقيمون في المسكن نفسه ويشاركون في حياة اقتصادية واجتماعية واحدة تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة.

هذا الاتحاد القائم بين هذين الكائنين: الرجل والمرأة، بصورة يقرها المجتمع هو الأسرة. فالزواج مرحلة وشرط ضروري لقيام الأسرة، والأسرة نتاج التفاعل الزواجي، ولكي نفرق بين المصطلحين نذكر أن الزواج هو تزوج منظم بين الرجال والنساء، على حين أن الأسرة تدل على الزواج مضافا إليه الإنجاب.

"والأسرة مأخوذة من الأسر، وهو القوة والشدة ولذلك تفسر بأنها الدرع الحصينة، فإن أعضاء الأسرة يشد بعضهم أزر البعض، ويعتبر كلا منهم درعا للآخر. وتطلق كذلك على أهل الرجل وعشيرته، كما تطلق على الجماعة يضمهم هدف مشترك، كأسرة

الأطباء، وأسرة المهندسين، وأسرة السائقين، وأسرة المحامين، وأسرة الأدباء".

إن الأسرة هي الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي، ومؤسسة من المؤسسات الاجتماعية ذات الأهمية الكبرى، ففيها نبدأ حياتنا الأولى ونتعود عليها وهي تصنع أولى خبراتنا. وفيها تتشكل شخصياتنا، وتتكيف مع البيئات المتغيرة حولنا، وهي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك، ويلقى فيها الكبار والصغار مصدر الرخاء.

وقد ذهب المفكرون الأمريكيون إلى إطلاق لفظ الأسرة على كل وحدة اجتماعية مكونة من شخص واحد أو مجموعة أشخاص، تكفل لنفسها استقلالا اقتصاديا منزليا، سواء انطوت هذه المجموعة على وجود نساء وأطفال أو اعتمدت على عنصر الرجال فقط، وسواء كانت تربطهم قرابة يقرها ويحددها المجتمع أم لم توجد بينهم هذه الرابطة[2].

ويعتبر بعض العلماء الأسرة وحدة بيولوجية، تتكون من أبوين ونسلهما، ومهمتها الأساسية التناسل وحفظ النوع. وفي إطار هذا المعنى تنطبق التعريف على مجموعة الثديات والطيور.

ويعتبر (كنجزلي دافز K.Davies) من الذين اخذوا بهذا الاتجاه الأول، فقد ذهب إلى أن الزواج وسيلة لإشباع الرغبات الجنسية والحاجة إلى الرفقة، وخارج هذا الإطار ليس له أهمية تضفي عليه صفة الاستقرار. ويأخذ على هذا التعريف أنه يحصر وظائف الأسرة في الوظيفة الجنسية والإنجاب.

ويعتبر البعض الآخر الأسرة وحدة طبيعية واجتماعية وثقافية، فالأسرة في نظرهم جماعة مستقلة داخل المجتمع، ويرتبط الواحد منهم بالآخر برباط الدم.

ولقي تعريف (جورج ميردوك (G.Murdock)1949 اتفاقا من الباحثين بالرغم من توجيه الانتقادات إليه من البعض الآخر. فقد ذهب إلى أن الأسرة جماعة اجتماعية يقيم أفرادها جميعا في مسكن مشترك، ويتعاونون اقتصاديا ويتناسلون. كما يؤكد على أن الأسرة جماعة اجتماعية تتكون من ذكر وأنثى تجمع بينهما علاقة جسدية يقرها المجتمع، وتسفر هذه العلاقة في غالب الأحيان عن إنجاب أطفال ينتمون إلى هذه الجماعة. ويترتب على ذلك حقوق وواجبات ورعاية وتربية للأطفال الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقات. والأسرة بهذا المعنى تقوم بوظيفة أساسية للمجتمع، وهي ضمان استمراره ونموه.

ويعرف (أوجست كونت) الأسرة بأنها: الخلية الأولى في جسم المجتمع، والنقطة الأولى التي يبدأ منها التطور، والوسط الطبيعي والاجتماعي الذي يترعرع فيه الفرد.أما (أوجبرن) و(نيمكوف) فيعرفان الأسرة بأنها منظمة أو رابطة اجتماعية دائمة نسبيا، تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال أو من زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها.

والعائلة مأخوذة أصلا من العيلة (أي الحاجة)فأفراد العائلة يحتاج بعضهم إلى بعض، أو يعتمدون في حاجتهم إلى رب العائلة. ولم يأت في القرآن لفظ الأسرة ولا لفظ العائل، وإن جاء لفظ العيلة في قوله تعالى:" ووجدك عائلا فأغنى".

وخلاصة القول فإن الأسرة التي تقابل كلمة (Family) باللغة الانجليزية، تعني من الناحية السسيولوجية جماعة اجتماعية تربط أفرادها روابط الدم والزواج، ويعيشون معيشة اجتماعية واقتصادية واحدة، مما يترتب عليه حقوق وواجبات بين أفرادها كرعاية الأطفال وتربيتهم[3].

02. خصائص الأسرة الجزائرية:

لقد أفاض" مصطفى بوتفنوشت" في كتابه "العائلة الجزائرية"، التطور والخصائص الحديثة في توضيح الخصائص الثقافية والاجتماعية للعائلة الجزائرية، وأنماط العلاقات الأسرية وأساليب التنشئة التي يتبعها الآباء في نقل العادات والقيم لجيل الأبناء على النحو التالي:

أ/ القيم السائدة في الأسرة الجزائرية التقليدية:

الأسرة الجزائرية التقليدية هي أسرة كبيرة أو ممتدة، يعيش في أحضانها عدة أسر أو خلايا زواجية تحت سقف واحد "الدار الكبيرة"، ويمكن أن يعيش في هذه الدار ما بين 20 إلى 60 فردا، وما بين ثلاثة إلى أربعة أجيال. وتقوم الدار الكبيرة بدور التماسك الأسري وتوفير الأمان لأفرادها، وتعتبر العائلة قيمة أخلاقية وروحية لجميع أفرادها. حيث يتجلى نسق القيم الذي ترتكز عليه الأسرة التقليدية في القيم الدينية والروحية والأخلاقية، وهي قيم تعلو على الروح المادية. حيث نجد سيادة قيمة البركة والوفاء والصفاء في البيع والشراء، وقيمة القناعة والرضا بكفاف العيش، واعتبار الغنى في القلوب أعظم من الكسب المادي، وقيمة الشرف والكرامة ويعتبر "النيف" جزء من قيمة الشرف، والذي يكتسب ويتعاظم مع الزمن. يعني أن لا يكون الفرد بتصرفاته الشاذة عن قيم وتقاليد الجماعة محل نقد وسخرية الجميع.

ومن القيم السائدة في الأسرة الجزائرية، قيمة الادخار والتقشف، حيث تتميز الأسرة التقليدية ببساطة العيش والاقتصار على ضروريات الحياة، وعدم التطلع إلى الكماليات. كما أن الأسرة التقليدية لا تميل إلى الاستهلاك إلا في ظروف استثنائية كالمناسبات أو الحفلات.

ولا يمكن أن يفسر الادخار والتقشف الذي تعتمده العائلة في حياتها بأنه بخل من طرف أعضائها، فهي تعرف معنى الضيافة، فالكرم والسخاء من أهم خصائصها[4].

وتسود العائلة قيمة التعاون والتكافل الاجتماعي في المناسبات السعيدة والمحزنة.

كما تسود العائلة قيمة الولاء والوفاء للأجداد في أغلب شؤون الحياة الاجتماعية للفرد، ويعتبر هذا الولاء إرغام طوعي يتحمله الفرد ويتقبله على طيب خاطر، مبنيا على احترام الوالدين والأهل، وكذلك مراعاة مصلحة الجماعة وتقديمها على المصلحة الشخصية. فالفرد لا يعيش لنفسه و إنما لأعضاء المجموعة، وهذا ما يحفظ تماسك هذه الجماعة العائلية.

ب/ خصائص الأسرة الجزائرية الحديثة:

إن الأسرة الممتدة لم تكن الشكل التقليدي الذي يتميز به المجتمع الجزائري في الوقت الراهن، خصوصا في المدن الكبرى، أين ينتشر شكل الأسرة البسيطة أو النووية، وهذا لا يعني أن النسق الأسري قد أصابه الخلل، وإنما يعود ذلك إلى محاولة الأسرة تحقيق التكيف مع التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تحدث في المجتمع، ومن أهم الخصائص التي تتميز بها:

✓ تقلص حجم الأسرة: تتميز الأسرة الجزائرية الحديثة بالشكل الزواجي الصغير، وتتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين، وهي أسرة بسيطة تدير شؤونها بنفسها وتبحث الاستقلالية والانفراد في مسكنها. وانتهاج أسلوب تباعد الولادات، وهذا ما يدل على التغير الثقافي في الأسرة الجزائرية. ففي الماضي كان الاعتقاد السائد أن استعمال وسائل منع الحمل، قصد تباعد الولادات يتعارض مع قواعد الدين، وانه تدخل في مشيئة الخالق الله.

وقد لعبت وسائل الإعلام دورا فعالا في نشر الوعي لدى الأفراد، فيما يتعلق بتنظيم الأسرة والنسل، فأدرك الأفراد أن الدين لا يحرم التباعد بين الولادات، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بصحة الأم وسلامة الطفل، تطبيقا لقاعدة لا ضرر ولا ضرار.

وقد أدى ضيق المسكن إلى التقليص من حجم الأسرة، كما أن هذه الأسرة تعتمد في دخلها على أجر منتظم.

✓ تغير المكانة الاجتماعية للأسرة: لم تعد المرأة الجزائرية الحديثة هي تلك البنت أو الزوجة المنعزلة والمتحفظة أمام الرجل، إذ نشأت وضعية جديدة للمرأة داخل الأسرة، فلم تعد تحت سلطة الأب، الأخ الزوج والحماة. ومع أن المرأة تراعي احترام وطاعة أبويه إلا أن وضعيتها الجديدة تسمح لها بأخذ الكلمة وتسيير حياتها الخاصة. وقد ساعد انتشار التعليم في الجزائر بدرجة كبيرة في تغيير المركز الاجتماعي للمرأة في الأسرة والمجتمع.

وعندما نزلت المرأة إلى ميدان العمل وشعرت بقيمتها الاقتصادية، أدركت أن لا داعي لتحمل القيود التي عرضها عليها الرجل، الأمر الذي جعلها تفرض شخصيتها وتتدخل في اختيار شريك حياتها، وترسم بنفسها خطوط الحياة الزوجية، بل وتنازع الرجل في السيادة على الأسرة، بل أصبحت المتصرفة في شئون المنزل والقائمة بأكبر قسط من مستلزماته ومسئولياته[5].

✓ انحسار سلطة الأب: أخذت سلطة الأب في الأسرة الجزائرية تنحسر، مما أدى إلى تغيير في المفاهيم السائدة في الأسرة وخصائصها ووظائفها والعلاقات السائدة، ومراكز الإدارة والسلطة فيها، والتي أصبح للأم والأبناء دورا كبيرا فيها. وقد تحول وضع الأب الجزائري من رئيس تسلطي إلى رئيس ديموقراطي.

ومن بين العوامل التي أدت إلى تراجع سلطة الأب في الأسرة الحديثة، هم ما تمتاز به هذه الأسرة بالفردية والاستقلال الذاتي لأفرادها.فالأب دائم الانشغال خارج المنزل، والأم العاملة لها دائما ارتباطات والتزامات بميدان العمل، والأطفال ينخرطون في بيئات خارج نطاق الأسرة، كالحضانة والمدرسة وجماعة اللعب، ووسائل الترفيه المختلفة (التلفزيون والانترنت) [6].

✓ شيوع ثقافة الاستهلاك والمادية: أصبحت الأسرة الجزائرية الحديثة، تتطلع إلى حريات أوسع وإلى استهلاك أكثر للتكنولوجيا، ومظاهر الحضارة والكماليات، وانتشرت هذه النزعة حتى في أبسط الأسر. حيث ظهر الاهتمام بالمظهر والأناقة والملبس، وبتأثيث المنزل ومستلزمات الديكور العصري. والاهتمام بمواد الزينة والتظاهر والتفاخر بين الناس، بما يخرج عن حدود إمكانات الأسرة وبثقل ميزانيتها. وهكذا أصبحت الأسرة الجزائرية الحديثة أسرة مستهلكة أكثر منها منتجة، مما أدى إل تصاعد الرغبة الاستهلاكية والروح المادية النفعية كتوجه ومظهر سلوكي. وتراجعت قيمة الادخار والقناعة وقيمة العمل والإنتاجية.

والتغير من الأسرة الممتدة إلى النووية ففي المجتمع الجزائري، لا يعني حدوث استقلال شامل للأسرة الزوجية عن الأسرة الأم. فالكثير من الشواهد تدل على أن الأسرة النووية في مجتمعنا مازالت متمسكة بعلاقاتها وانتماءها وولائها للأسرة التقليدية، ويتجلى ذلك بصورة أوضح في الأزمات والظروف الخاصة وفي المناسبات والأعياد.

فالأسرة النووية لا تزال مرتبطة بأسرة الوالدين، نتيجة تمسكها بالقيم والعادات، وامتداد السلطة المعنوية للوالدين[7].

✓ العناية بتنظيم الناحية الروحية والمعنوية في محيط الأسرة: مثل تنظيم أوقات الفراغ، واستغلال نشاط الأفراد فيما يعود على الأسرة والمجتمع بالفائدة، والعناية بالفنون وتهذيب الأذواق.

والعناية كذلك بالناحية الترويحية، مثل الذهاب إلى السينما والحدائق العامة والأندية والمهرجانات.فإن هذه الأمور وما إليها أصبحت من أهم مقومات حياة الأسرة المدنية، وتستأثر بنصيب يذكر من ميزانيتها[8].

وعموما فإن الأسرة الجزائرية ليست بمنعزل عن التغيرات الثقافية والحضارية التي تحدث على المستوى العالمي، فهي في تفاعل مستمر مع هذه التغيرات، لمسايرة ومواكبة التغيرات والتطورات التي يشهدها العالم المعاصر في شتى المجالات، خاصة في عصر الانفتاح الحضاري وزمن عولمة الإعلام، وهي في نفس الوقت تسعى للمحافظة على هويتها وخصوصيتها الثقافية والقيمية.

ثانيا: ماهية التغير الاجتماعي.

01. تعريف التغير الاجتماعي:

أ/ التعريف الاصطلاحي للتغير الاجتماعي:

إن اصطلاحchange يعني انتقال أي شيء أو ظاهرة من حالة إلى حالة أخرى، أو هو ذلك التعديل الذي يتم في طبيعة أو مضمون أو هيكل شيء أو ظاهرة. ويقصد باصطلاح social الشخص وعلاقاته وتفاعله مع الآخرين. أما مصطلح التغير الاجتماعي فإنه يشير إلى تلك العملية المستمرة والتي تمتد على فترات زمنية متعاقبة يتم خلالها حدوث اختلافات أو تعديلات معينة في العلاقات الإنسانية أو في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الاجتماعية. ويعني التغير الاختلاف مابين الحالة الجديدة والحالة القديمة أو اختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة محددة من الزمن. وحينما تضاف كلمة الاجتماعي، التي تعني ما يتعلق بالمجتمع فيصبح التغير الاجتماعي التغير الذي يحدث داخل المجتمع أو التحول أو التبدل الذي يطرأ على البناء الاجتماعي خلال فترة من الزمن[9] .

ب. التعريف السوسيولوجي للتغير الاجتماعي:

يعرف "صلاح العبد" التغير الاجتماعي بأنه ظاهرة طبيعية تخضع لها نواميس الكون وشؤون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية المستمرة والتي تفضي إلى تغير دائم. كما يعرف "أحمد زكي بدوي" أنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بناءه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بناءه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد، والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها[10].

والتغير الاجتماعي كما يعرفه "روجرز": هو العملية التي يحدث من خلالها تغير وتبديل البنيان والوظيفة الاجتماعية للنظم الاجتماعية. وقد يحدث ذلك من خلال المخترعات والمبتكرات الجديدة، ومنها ما يحدث بسبب الحروب والثورات الداخلية. كما تكون عملية التغير الاجتماعي مخططة أو غير مخططة، وكما يذكرها " Boger" يكون مصدرها إما خارجي أو داخلي.

2/ مصادر التغير الاجتماعي:

إن التغير الاجتماعي لا يحدث اعتباطيا أو تلقائيا أو بدون سبب، وغالبا ما تكون مصادر قوية وظاهرة ومؤثرة بشكل مستمر وهادف في التحول والانتقال من حال إلى حال، وعليه فمصادر التغير الاجتماعي عديدة نذكر منها:

أ. الصراع الاجتماعي:

يمثل أحد أشكال عدم الاتفاق بين الأفراد في وجهات نظرهم، ذلك لاختلاف مصالحهم وغاياتهم ودوافعهم، مما يجعلهم يدخلون في صراع فيما بينهم، ينتهي بهيمنة احدهم على الآخرين، فعلى سبيل المثال الخلافات التي تنشب بين الزوجين حول ميزانية الأسرة أو حول أمور أخرى تتعلق بحاضرها ومستقبلها، فهي تمثل عدم الاتفاق بينهما، مما يفتح النزاع لا ينتهي إلا بتغير في مواقف احدهما أو قرار كليهما وهذا يعد تغيرا اجتماعيا (محدود النطاق) يقع بين فردين.

ب.الحروب:

يشكل مثالا مأساويا للصراع الاجتماعي، والذي يقود إلى تغيرات اجتماعية عديدة وعميقة وشاملة.

يرى "رايت ملز" بأن الصراعات الحربية تولد تغيرات اجتماعية هائلة، وأحسن مثال "الحرب الباردة" وما أحدثته من تغيرات رهيبة على الكتلتين الشرقية والغربية، بل وعلى العالم بأسره ومن آثار الحروب في التغير الاجتماعي هو معانات الأطفال في العراق وفلسطين المحتلة...، أطفال بدون مدارس يعانون من سوء التغذية والأمراض وانعدام المساكن التي تحولت إلى دمار. إلى جانب العشرات من الآلاف من الأيتام. مما يؤدي بالضرورة إلى المزيد من الأعمال الإجرامية ومضاعفة عدد المعاقين والمرضى وتفشي الأمية والاضطرابات النفسية والعقلية بأنواعها المختلفة.

ج. الحركات الاجتماعية:

تعمل على تغير البناء الاجتماعي، إذ يكون بعض الناس غير مقتنعين بما يحصل داخل المجتمع من أمور سياسية واقتصادية، أو عن طريق احتكاكهم يتبلور عندهم شعور وإدراك ورغبة في تأسيس أو تشكيل جماعة اجتماعية منظمة، تطالب بتغيير الأمور التي لا تتفق مع قناعتهم.

ومثال على الحركات المنظمة "جبهة التحرير" وكيف عملت على تغيير الأوضاع المزرية التي كان يعيشها آباءنا وأجدادنا إبان الاستعمار الفرنسي الغاشم، وذلك بالعمل على تفجير الثورة والنيل من العدو واسترجاع حرية الشعب المسلوبة.

ثالثا: مظاهر التغير الاجتماعي في الجزائر وتأثيراته على القيم.

01. بعض مظاهر التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية:

لقد توالت التغيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمعات في العقود القليلة الماضية وخاصة على المجتمعات العربية، ولعل من أبرز هذه التغيرات ظهور ظاهرة العولمة ومارا فقها من ثورة معلوماتية، حيث أحدثت تغيرا في المواقف والاتجاهات والقيم الإنسانية لدى أفراد المجتمع، وجعلت العالم أكثر اندماجا، وجعلت التحولات سريعة هي التي ساهمت في انتقال المفاهيم والقناعات والمفردات والأذواق فيما بين الثقافات والحضارات، وهي التي نقلت العالم من مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة وبالتالي في دخوله إلى عصر العولمة.

إن هذه التغيرات كان لها دور في تغير الثقافة الموروثة للمجتمعات، أن ثورة المعلومات والاتصال قد أثرت وستؤثر في حياة الأفراد، وهي اليوم من أهم العوامل التي تعقد تشكيل خبرات وثقافة وأذواق وسلوكات الأفراد والمجتمعات.

وهذا ما أكده عويدات حيث يقول: "لقد ترتب على هذه الثورة المعلوماتية حدوث تغير اجتماعي متسارع في القيم والمعايير والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية، والانفتاح الإعلامي الثقافي الحضاري العالمي بفضل وسائل الإعلام السريعة.

فمن المتفق عليه أن أي مجتمع إنساني له خصوصياته الثقافية، بحكم تاريخه الاجتماعي الفريد والذي لا يمكن أن يكرر.

إلا أن العولمة تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة، تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني، وتكون ما يسمى بالقواعد الأخلاقية الكونية التي تركز على الحرية السياسية التعددية الفكرية، واحترام حقوق الإنسان وتقبل الآخر. وتعمل وسائل الاتصال على زيادة الفاعل الثقافي على المستوى العالمي، إلا أن الدول التي تمتلك القدرات التكنولوجية سوف ملك القدرة على بث ونشر الرسائل الإعلامية الثقافية بكل ما فيها من قيم، وقد حمل في بعض الأحيان غزوا ثقافيا قد يهدد الخصوصية الثقافية لهذه المجتمعات .

ومن مظاهر التغير ضعف الروابط الأسرية والتواصل الأسري، حيث تشهد الأسرة العربية مزيدا من التفكك بسبب تراجع سلطة الوالدين في السيطرة على ضبط سلوك الأبناء، فعلاقة الآباء بالأبناء، وعلاقة الرجل بالمرأة كانت تحدد على أساس النظام الأبوي، والذي يتمثل في هيمنة الرجل على المرأة وهيمنة الكبار على الصغار، بما يعني توزيعا هرميا للسلطة على محوري الجنس والسن.

ومثل قيم الشرف والاحتشام والجماعية والطاعة عناصر أساسية في هذا النظام، وتتصل قيمة الشرف بسلوك الفرد ولكنها لا تقصر عليه بل تمد لتشمل العائلة كجماعة تتوحد فيها المسؤولية، وتتماثل فيها الذات مع الجماعة. وعلى وجه التحديد تربط هذه القيمة سلوك المرأة بشرف الرجل، فهذه القيم تلاشت و تغيرت.

كما تأخر سن الزواج عند الأبناء إلى حين إتمام دراستهم والحصول على وظيفة، وتأمين البيت واستئجاره أو بنائه. كما أن القيمة الاجتماعية اليوم للشباب ليست بالزراعة والمساحات الأرضية من المواشي، ولكن بما يحصله الواحد منهم من علم وشهادات وما يملكه من رصيد بنكي. فأصبح الأفراد يقيسون بعضهن البعض على أساس حجم ثروتهم وممتلكاتهم المادية، وعليه فنون اللباس والسيارة وقيمة المنزل وتأثيثه، هي معايير مهمة جدا لكسب مركز محترم في أعين الآخرين.

كما أدى ضعف العلاقات الودية إلى إضعاف الضبط الاجتماعي التقليدي في المنطقة الحضرية، وبالتالي تتغير كثير من القيم لدى الأفراد بمجرد انتقالهم من الريف إلى الحضر، كما تكثر الانحرافات السلوكية والجريمة والقطيعة مع التقاليد.

فعندما يحصل الحضر داخل المجتمع تظهر تشكيلات جماعاتية ثانوية من الأصدقاء والزملاء والمعارف، لا تقام على العلائق القرابية بل على أساس قيم حضارية .

وبالتالي الفرد لا يلتزم بمعايير اجتماعية نتقل عبر الأجيال لتنظيم سلوكهم، بل يحرر من التماثل مع أنماط عيش عاشها آباؤه وأجداده.

ومن مظاهر التغير أنه أتاح المجتمع الصناعي الحديث والتقنية الحديثة، الفرصة أمام المرأة للالتحاق بالعمل خارج البيت والمساواة بالرجل والحصول على أجر نظير، هذا العمل بعدما كانت المرأة التقليدية إما ماكثة في البيت أو تعمل في الزراعة لتساعد زوجها.

أو تعمل عمل حرفي كالطرازة والخياطة وهي في بيتها، فكانت القيم السائدة أن تتفرغ الزوجة لرعاية الزوج والمنزل والأولاد، وخروج المرأة إلى العمل كان له تأثير على الحياة الزوجية والعلاقات الأسرية، وتأثر الأبناء بعمل المرأة في العصر الحديث.

فأحدث عمل المرأة عدة تغيرات منها إرسال الأولاد إلى دور الحضانة والاستعانة بالخدمات، واستخدام الأدوات المنزلية الحديثة، والعمل على تنظيم النسل، والإقلال من الزيارات العائلية واستقبال الضيوف من أهل الزوج والأقارب، بسبب عدم تواجدها في البيت في أغلب الأوقات.

وقد أدى خروج المرأة إلى العمل والتعلم، إلى أن تنزع اللباس التقليدي وتقتني ألبسة تواكب العصر والموضة. وهذا ما جعل كثير من النساء يصرفن جزء كبير من رواتبهم على أدوات الزينة والملابس الغالية، فأصبحت كثير من الأسر تتبنى قيم الاستهلاك بدلا من قيم الإنتاج.

لقد انعكست هذه التغيرات التي تعرضت لها المجتمعات العربية عامة والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص، على مجموعة من العوامل المتداخلة والمتشابكة، والتي أحدث تأثيرات مباشر أو غير مباشرة في البني الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، فضلا على تأثيراتها الواضحة في بنية الأسرة، باعتبارها من أهم النظم الاجتماعية خاصة في مجال التنشئة الاجتماعية، وإعداد الأجيال القادمة. وهذه التغيرات التي تعرضت لها الأسرة لم تكن فقط تغيرات على المستوى الخارجي المادي، وإنما جاءت على مستوى القيم الاجتماعية.

خلاصة:

وعموما فإن الأسرة الجزائرية ليست بمعزل عن التغيرات الثقافية والحضارية التي تحدث على المستوى العالمي، فهي في تفاعل مستمر مع هذه التغيرات، لمسايرة ومواكبة هذه التغيرات والتطورات التي يشهدها العالم المعاصر في شتى المجالات، خاصة في عصر الانفتاح الحضاري وزمن عولمة الإعلام، وهي في نفس الوقت تسعى للمحافظة على هويتها وخصوصيتها الثقافية والقيمية .

فإذا استطاعت الأسرة الجزائرية الحديثة (المعاصرة) أن تحقق على مستواها التوازن بين التغيير في الحاضر والتجذر في الماضي، وبين الأصالة والمعاصرة .فإن هذا التوازن سيكون كفيلا بضمان استقرارها وتماسكها وارتقاءها، أما إذا اختل هذا التوازن فإنه يعرض أفراد الأسرة للاستقطاب الحاد ما بين التبعية الكاملة للنموذج الغربي أو الانعزال التام.

وهكذا يبقى الخيار الوحيد أمام الأسرة الجزائرية والعربية هو مجابهة الاختراق الثقافي الأجنبي، الذي أصبح يهدد كل الثقافات بالمسح والانصهار في صلب ثقافة عالمية واحدة، ويعرض الأسرة إلى أزمات عديدة وفي مقدمتها أزمة القيم.

الهوامش:

1. جمال العيفة :مؤسسات الإعلام و الاتصال (الوظائف ، الهياكل ،الأدوار).(ب ط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.2010.ص194.
2. حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الأسرة و المجتمع (دراسة في علم اجتماع الأسرة) .(ب ط). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. 2003. ص 22
3. 01حسين عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق.ص 26.
4. نسيمة طبشوش: القنوات الفضائية وأثرها على القيم الأسرية لدى الشباب.(ب ط). الجزائر : مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع. 2011. ص186.
5. حسين عبد الحميد أحمد رشوان : مرجع سابق.ص 32.
6. نسيمة طبشوش: مرجع سابق.ص 194.
7. نسيمة طبشوش: مرجع سابق .ص 195.
8. حسين عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق .ص 33.

9. لطيفة طبال: التغير الاجتماعي و دوره في تغير القيم الاجتماعية. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. الجزائر: جامعة سعد دحلب البليدة.العدد الثامن. جوان2012.ص409-410.
10. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، انجليزي ، فرنسي ، عربي . مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح .بيروت.1982.ص382.